علاقات البرابرة بالإمبراطورية الرومانية قبل الغزو

لقد حرص أباطرة الرومان على أن تكون حدودهم وخاصة الشمالية محصنة وآمنة، في ظل وجود القبائل البربرية على حدودها، فمنذ القرن الثاني الميلادي عمل الإمبراطور هادريانوس على أن تكون هناك خطوط دفاعية متقدمة على نهر البلطيق والأودر من جهة ألمانيا، ولكن نلاحظ هناك تقاربا بين البرابرة والرومان، وحدث هذا عندما تأثر البرابرة بالفنون والثقافة الرومانية، إضافة إلى نشاط التجارة وتبادل السفارات بين الطرفين، بل أصبح بعض البرابرة في خدمة الرومان. وبمرور الوقت تقلد هؤلاء وخصوصا **الجرمان** مناصب في الدولة دفاعا عنها، وبصفة خاصة أصبح القوط عنصرا أساسيا في الإمبراطورية الشرقية ومن العناصر البربرية التي وصلت المنطقة مبكرا نجد القوط بقسميهم الشرقي والغربي، حيث توجه القوط الشرقيون إلى منطقة الأدرياتيك وأسسوا دولتهم بايطاليا والتي سقطت سنة537م على يد الإمبراطور جستنيان، أما القوط الغربيون استقر بهم المقام في اسبانيا حتى مجيء الفتح الإسلامي لها سنة 711م. وأما الوندال فتحركوا من الشمال إلى غالة ثم اسبانيا وانتهى بهم المقام في شمال إفريقيا بعد غزوها سنة 429م إلى أن انتزعها منهم جستنيان البيزنطي سنة 534، بالإضافة إلى قبائل **البرجنديين** التي وصلت نهر الراين ثم التوجه إلى شرق فرنسا التي استقروا بها بعد معركة شالون سنة 451م، ومن العناصر الأكثر وحشية نجد **الهون** وهي عناصر آسيوية مغولية حيث ضغطوا على قبائل الحدود في الإمبراطورية مما أدى إلى الضغط على الإمبراطورية، وكان تحركهم من بلاد الغال إلى ايطاليا حيث انتهى خطرهم بعد وفاة قائدم **اتيلا**. سنة 454م.

1-**القوط الغربيون**: لقد كان لتطور وازدهار الرومان أثر على حياة هؤلاء البرابرة، حيث عبر أحد قادتهم **أثاناريك** بقوله عندما تم اقتياده لسوق القسطنطينية:" مما لاشك فيه أن الإمبراطور هو إله على الأرض

ومن يهاجمه يعتبر مذنبا بطبعه" وتحت ضغط الهون تحرك القوط الغربيون باتجاه حدود الإمبراطورية عند نهر الدانوب وطلبوا من الإمبراطور فالنس أن يسمح لهم بالإقامة على حدود دولته سنة 376م، ولكن سرعان ما بدا التوتر وبهذا وقعت معركة أدرنة سنة 378م التي أودت بحياة الإمبراطور وتعتبر البداية الحقيقية للغزو الجرماني. ولكن خليفته هادريان لجأ إلى سياسة المهادنة معهم فأصبحوا معاهدين له بل خدما له. ومن قادتهم البارزين نجد الاريك حيث تم اختياره سنة 395م الذي بدأ يبحث عن موطن لقبيلته وكان بمقدور الإمبراطور هونوريوس أن يوطنه ويتجنب الاصطدام معه ولكنه لم يأبه لذلك فبدأ الاريك يشن هجومه على الغرب. وتعتبر سنة 406م سنة تحول بالنسبة للجرمان حيث تم اغتيال أكفأ قائد عسكري في روما وهو **ستيليكو** فاندفع الاريك نحو روما سنة 410م وأسقطها واحتفظ بها ليضغط على الإمبراطور لعله يستجيب لمطلبه وإعطائه موطنا لقبيلته، ولكن توفي بعدها بقليل فخلفه صهره أتولف411-415م. عقب ذلك اقتنع الإمبراطور بمنح القوط إقليم اكوتين في غالة وفي فترة حكم واليا415-420م نجح في التغلب على الآلآن والسويف والوندال حيث توسعوا على حساب اسبانيا.

2-**الوندال**: أكثر الشعوب الجرمانية وحشية وهم قسمين الوندال الاسدينجز والوندال سلينجز وأثناء الضغط الهوني تحركوا إلى الغرب وعبروا الدانوب وتوسعوا على حساب غالة واسبانيا، وعند وصول جنسريك إلى الحكم عبر إلى شمال إفريقيا طمعا في ثرواتها التي سيطر عليها الرومان حيث عبروا جبل طارق سنة 429م ونزلوا بطنجة ثم توجهوا الى هيبون سنة431م ثم قرطاجة واشتد عداؤهم للكاثوليك بسبب الخلاف المذهبي لأنهم كانوا اريوسيين. توسع الوندال على حساب الجزر المتوسطية وفي سنة 455م تمكنوا من غزو روما ومحاصرتها. وبوفاة ملكهم سنة 477م دب الضعف في الدولة والتي انتهت

على يد القائد البيزنطي بليزاريوس أثناء حكم جستنيان سنة 534م.

3-**الهون:** من أكثر العناصر بربرية التي أثارت الرعب في أنحاء الإمبراطورية بدا تحرك هذه القبائل المعروفة باسم هسيونج-هو من موطنهاالآسيوي باتجاه الغرب نحو منطقة البلقان وتم وصفهم من طرف الرومان بأنهم **شياطين لا تقهر** بحيث أن المقاتل الهوني لايغادر صهوة جواده بحيث كانوا يضعون اللحم المقدد على سروج خيلهم ويواصلون السير. وفي قيادة زعيمهم أتيلا منتصف القرن5م اجتاح أراضي الإمبراطورية الشرقية وعقد معها معاهدة وفي ظل وجود أباطرة أقوياء أمثال مارقيان450-457م اتجه اتيلا غربا سنة 451م حينها كان القائد الروماني اتيوس على منطقة غالة الشمالية الذي أدرك خطر الهون فقام بتجميع القوات الجرمانية لصد الهون وهكذا توحدت الجبهة من نهر الفولجا إلى المحيط الأطلسي على سهل **شالون** الذي شهد أكبر معركة من معارك العصور الوسطى سنة 451م ويذكر لنا المؤرخ كاسيودوروس عن وحشية تلك المعركة من خلال أقوال محاربين قوط. حيث انهزم اتيلا وانسحب باتجاه ايطاليا غازيا لها452-453م غير أنه توفي في السنة الأخيرة وبهذا تفككت قوات الهون بسبب تنازع أبنائه على عرشه فانسحبت قواته باتجاه موطنها الأصلي.

سقوط الإمبراطورية في الغرب سنة 476م : لقد كان مقتل القائد أتيوس سنة 454م على يد الإمبراطور فالنتينيان الثالث حدثا هاما وفي السنة الموالية تم تصفية الإمبراطور وبهذا أصبحت الإمبراطورية على وشك السقوط بعد تتالي هزائمها. وبهذا تمكن قائد قبائل الهيرول ادواكر من دخول ايطاليا وخلع إمبراطورها رمولوس وأرسل إلى القسطنطينية يدعو لوحدة التاج الإمبراطوري على يد زينو والذي طلب منه ادواكر ان يمنحه لقب شريف يدير الولايات الايطالية فكان له ذلك وبهذا تمكن قائد الهرول من إنشاء مملكته في ايطاليا.